تطور مورفولوجية مدينة تريم بوادي حضرموت ـ اليمن

إعـــــداد

د. عمر سالم المحمدي

أستاذ مشارك في كلية الآداب

جامعة حضرموت ـ الجمهورية اليمنية

o.almohammedi@hu.edu.ye

تاريخ الاستلام :٢٠٢١/١٢/٢٧م

تاريخ القبول : ٧/ ٢/٢٠٢٢م

ملخص:

يهتم البحث بدراسة تطور مورفولوجية مدينة تريم بوادي حضرموت – اليمن وتحديد العوامل المؤثرة في نمو وتوسع المدينة من خلال تحديد نشأة وتطور مدينة تريم عبر المراحل المورفولوجية الأربع التي مرت بها والتي أفرزت المظهر الأرضي العام للمدينة، وظهر أنّ هذا المظهر المورفولوجي للمدينة قد اختلف من مرحلة إلى أخرى ليكون شاهداً على ما مرت به المدينة من تغيرات مورفولوجية ساعدت على النمو والتطور في كل مرحلة، منذ نشأتها في النواة الأولى حتى وصلت في المرحلة الأخيرة إلى تطور كبير في مساحة المدينة البالغ نحو (١٩٣٠.٣٢) هكتار وقد أدى هذا التوسع العمراني للمدينة إلى تحديد الاتجاهات المكانية المستقبلية لنمو المدينة حتى عام ٢٠٢٥م عبر محاورها الآتية (الشمال الغربي بوادي عيديد، والشمال الشرقي والشمال بوادي دمون، والجنوب الغربي نحو مرتفعات هضبة حضرموت، والشمال الغربي نحو وادي ذهب).

الكلمات الدالة: مورفولوجية المدينة، التطور العمراني، شكل المدينة، أنظمة الشوارع ونمطها، مواد وطراز البناء

Abstract:

The Evolution of the Morphology of the city of Tarim in the Hadhramaut

This study of the development of the urban morphology of Tarim city, in the Valley of Hadhramaut, Yemen, aims to specify the elements that contributed to the growth and expansion of the city by identifying the construction of Tarim through the four morphological stages that formed The general morphological shape of the city. It shows that the morphology of the city differed from one stage to the next which is a testament to the fact that such changes have aided in the growth and development of the city throughout each stage. This spans from the place of its initial core up until the final stage of development when the size of the town increased to an area size of about 1930.32 hectare. The urban expansion of Tarim has identified the spatial directions of the projected future growth of the city up until the year of 2025 in the following directions: NW of 'Edeed Valley, NE & N of Damoon Valley, SW of the Highlands of the Hadhramaut Plateau, and NW towards Thahab Valley.

مقدمة:

وتُعتبر مدينة تريم إحدى المدن الرئيسية في محافظة حضرموت، وتحتل مكانه متميزة في التاريخ العام لعموم اليمن، فقد حظيت منذ فترات زمنية على أهمية تاريخية بحكم نشوئها كمدينة قديمة، إلى جانب كونها مركز وإشعاع ديني منذ ظهور الإسلام، وعاصمة للثقافة الإسلامية عام ٢٠١٠م.

ويتميز تركيبها الداخلي بعدة خصائص ظهرت خلال مراحل تطورها مورفولوجياً.(**) تحت تأثير مجموعة من العوامل الجغرافية الطبيعية في نشأة نمو المدينة، وقد تباين ذلك النمو الحضري عمرانياً بين مراحل متعددة مورفولوجياً قد تميزت كل مرحلة مورفولوجية من مراحل النمو العمراني للمدينة بخصائص عمرانية مختلفة ومتباينة بحيث ميزت بين تلك المراحل من حيث نمط البناء، ونظام شبكة الطرق داخل التركيب الداخلي للمدينة، ومواد البناء والعلاقات المكانية بين الاستعمالات والوظائف الحضرية.

مشكلة الدراسة :

تتلخص مشكلة الدراسة في المراحل التي توسعت بها مدينة تريم، التي تكمن في طبيعة الأشكال والعناصر المورفولوجية التي جاءت حصيلة انجازات معمارية لمراحل تاريخية متتالية تبلورت عبر عوامل مكانية ساهمت في تغيير أشكالها وبنيتها،

(**) مورفولوجية المدينة هي التي تبحث في الحيز الذي تشغله المدينة ونظام مبانيها وتخطيطها، وأساس ذلك التخطيط، وهذه الطريقة تساعد على معرفة أصل المدينة، واستخداماتها، ووظائفها، ضمن تركيبها الداخلي، والعوامل التي أدت إلى توزيعها بالطريقة التي هي عليها، وعلاقاتها المتبادلة، وما ترتب عليها من نتائج.

المرحلة المورفولوجية هي الفاصلة الزمنية من التاريخ الحضاري للمدينة تتمثل فيها نماذج أو أشكال مادية متميزة في المظهر الحضاري بما يستجيب لحاجات سكان المدينة في تلك المرحلة، وتمثل تلك النماذج العمرانية المادية وحدات متميزة موروثة لتلك المرحلة.

سعياً وراء إبراز هذه الانماط وفق مراحل مورفولوجية أثرت على شكل خطة المدينة وما ستكون عليه في المستقبل.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة لمعرفة تطور المراحل المورفولوجية العمرانية لمدينة تريم، في ضوء حاجتها في تلبية الطلب المتزايد لمناطق التطوير والتوسع المستقبلي بسبب الزيادة الطبيعية للسكان، وتحليل الوضع القائم من ناحية الكتلة العمرانية للمدينة كالمساحة، ونمط الشوارع وأنظمتها، وطراز البناء، والمواد المستخدمة في تصميم المبنى، إلى جانب التغيرات التي طرأت عليها والتي تُعد انعكاسا لوظيفتها وأنشطتها الذي تقوم بها.

منهجية البحث:

فقد اعتمد الباحث على العديد من المراجع العربية والأجنبية والمجلات والرسائل العلمية المنشورة حول هذا الموضوع، مستخدماً المنهج التاريخي والإقليمي والوصفي للكشف عن تطور نشأة المدينة من خلال المراحل المورفولوجية والعوامل الجغرافية المؤثرة في تطورها، إلى جانب استخدام الإسلوب الكمي في تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية (GIS) في تحليل بياناتها الجغرافية مكانياً لقياس مساحات تطورها العمراني في المدينة.

منطقة الدراسة:

تشمل منطقة الدراسة الحدود المكانية لمدينة تريم الواقعة فلكياً بين خطي الطول (٤٤" ٩٥' ٤٨°) و(٠٣" ٠٣' ٤٩°) شرق خط جرنتش وبين خطي العرض (٢٩" ٠٣' ١٦°) و(٠٧" ١٠' ١٦°) شمال خط الاستواء، أما الموقع الجغرافي فتقع مدينة تريم في وادي حضرموت وتمتد من الغرب إلى الشرق، وعلى الضفة اليسرى من المجرى الرئيسي، وتبعد عن مدينة سيئون بنحو (٢٤) كم، وعن مدينة المكلا بحوالي (٣٥٦) كم.

خريطة رقم (١) الموقع الجغرافي لمدينة تريم بالنسبة لمحافظة حضرموت واليمن

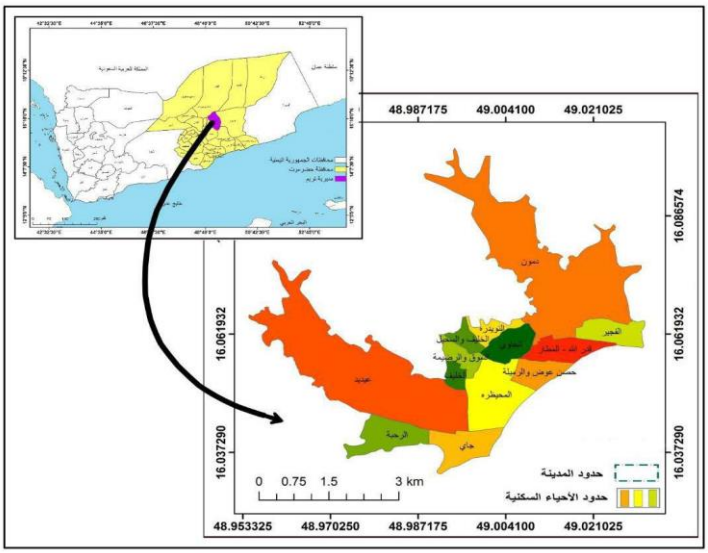

المصدر: بالاعتماد على تحليل الصورة الرقمية الملتقطة بالأقمار لعام (٢٠١٦م) بواسطة برنامج نظم المعلومات الجغرافية (Arc GIS 10.2.2)

١ـ النشأة والتسمية:

تضاربت الروايات حول تسمية مدينة تريم وتاريخ نشأتها، وذكر في كتاب معالم تاريخ الجزيرة العربية (أن تريم كان تأسيسها في عهد الحكم السبئي لحضرموت وأنها سميت باسم أحد أولاد سبأ الأصغر أو باسم القبيلة التي من تريم)، أي سميت مدينة تريم باسم أحد ملوكها "تريم بن السكون بن الأشرس بن كندة" (القادري، ٢٠١١م، ص٤)، وأول من عمرها تريم بن حضرموت بن سبأ الأصغر، وقد جاء ذكرها في النقوش اليمنية القديمة ترم في (نقش إرباني٣٢)، وتريم بالياء في (نقش جام ٥٤٧). (الجنيد، ٢٠١٠م، ص٩). وترجح النصوص النقشية بدايات تاسيسها في القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد (الكثيري، ٢٠١٣م، ص٦٦٩).

٢ـ مراحل التطور العمراني لمدينة تريم:

إن أهمية دراسة وتحديد مراحل تطور المدينة تكمن في كونها تساعد على وصف شكل المدينة وتركيبها ومظهرها الخارجي ونسيجها الحضري من جهة، وتحديد أنماط استعمالات الأرض ومتابعة التغيرات المكانية التي تطرأ على تلك الاستعمالات وتطورها من جهة أخرى، حيث لا يمكن للمخطط أن يعالج مستقبل أو تطور المدينة، ما لم يفهم واقع حال المدينة مورفولوجياً والعوامل والمتغيرات التي أسهمت في تطور المدينة. (المخزومي، ٢٠٠٥م، ص١).

ومن خلال ما توفر من مصادر ومراجع وخرائط وصور جوية وتحليلها باستخدام برنامج نظم المعلومات الجغرافية (GIS). فقد تم التمكن من تحديد المراحل المورفولوجية لمدينة تريم *(Morphology or Townscape)* وبالاستناد على المعايير الآتية:

١- شكل المدينة أو مخططها. [***]

٢- أنظمة الشوارع ونمطها.

٣- البناء المعماري أو طراز الأبنية ونوعية المواد المستخدمة فيها (تصميم المبنى).

لذلك تم التمكن من تحديد المراحل المورفولوجية التي مرت بها المدينة حتى أخذت تركيبها الداخلي وشكلها الحالي، نتيجة لما شهدته من نشاط عمراني وتجاري وتنموي في كافة المجالات، وأمتد النمو الحضري في اتجاهاتها المكانية نحو التوسع الأفقي السريع للمدينة دون إعداد المخططات العمرانية لها، والتوسع العمراني للمدينة على حساب الأراضي الزراعية (الجمهورية اليمنية، ٢٠٠٥م، ص٣٠). لذلك يمكن تلخيص هذا التطور العمراني في أربع مراحل رئيسية هي:

[***] نقصد بشكل المدينة *The City form* هو التنظيم المكاني على الامتدادات المكانية التي تشغله المدينة مستطيلة، دائرية، شعاعيه، شريطية أو خطية، شكل عضوي أو مضموم كروي..الخ (الأشعب، ١٩٨٣م، ص٦).

٢ـ١: المرحلة المورفولوجية الأولى: (منذ النشأة ماقبل عام ٦٢٢م (ظهور الإسلام)):

تعتبر هذه المرحلة الأولى بالرغم من طول الفترة التاريخية، حيث تم تكوين ونشأة المدينة، في عهد الحكم السبئي لحضرموت، وعلى الرغم من استيطانها في عصور سابقة، إلا إن أول ظهور للمدينة يعود للقرن الرابع قبل الميلاد كمحطة تستريح فيها القوافل ثم تدرجت لتصبح قرية صغيرة ثم النواة لنشأة المدينة، أما الخصائص المورفولوجية التي تتصف بها المدينة خلال هذه المرحلة كالآتي:

٢ـ١ـ١: شكل المدينة:

كان شكل المدينة آنذاك يتمثل بالنواة العمرانية الأولى لمدينة تريم وهي حارتي الأزرة والخليف وهما متصلتان بالحصن والسوق وما يجاورها من حوانيت ومساحات قديمة لإبل القوافل وما يقع حول حصن الرناد (باسنبل، ١٩٩٠م، ص١٢)، الذي يمثل الرقعة العمرانية للمدينة في هذه المرحلة التي تقدر مساحتها بحوالي (12.66) هكتاراً، التي لا تتجاوز من الغرب مقبرة الفريط ومسجد باجرش شمالاً، ومسجد عاشق (آل ابي حاتم) شرقاً ومسجد باعلوي شمالاً، وهي تشغل القسم الاوسط من المدينة حيث نجدها بعد ذلك قد اتسعت وتطورت في المراحل اللاحقة.

٢ـ١ـ٢: أنظمة الشوارع ونمطها:

أما أنظمة الشوارع نمطها تتكون من أزقة ملتوية وضيقة وغير مستوية أي أنها لا تتبع نمطاً موحداً من حيث الاتساع والاتجاه، كما أن عرضها في الغالب لا يتجاوز عدة أمتار.

٢ـ١ـ٣: البناء المعماري ونوعية المواد المستخدمة فيها:

وإن ما يميز مدينة تريم في هذه المرحلة المورفولوجية بطئ نموها الحضري وصغر حجمها حيث كانت تشمل مجموعة من المباني الطينية ذات النسيج العمراني العضوي التي انتشرت في نواتها الأولى الخالية من الأسوار.

خريطة رقم (٢) مدينة تريم في المرحلة المورفولوجية الأولى.

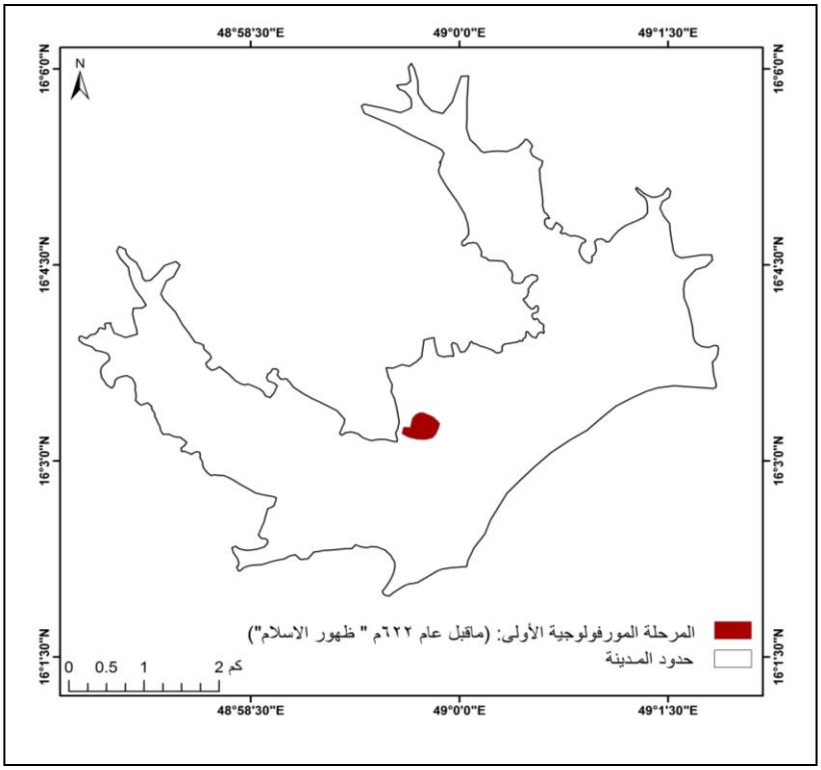

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على خريطة مشروع الأعمال الأستشارية لتطوير وادي حضرموت، المرحلة الثانية، التخطيط الإقليمي، مايو ٢٠٠٥م.

٢ـ٢: المرحلة المورفولوجية الثانية: (من عام ٦٢٢م ظهور الإسلام– إلى عام ١٤١١م قيام الدولة الكثيرية):

تبدأ هذه المرحلة منذ فترة دخول تريم تحت الراية الإسلامية في عام ٦٢٢م، ومن المعروف أن هذه المرحلة المورفولوجية الثانية مليئة بالأحداث حيث تعاقبت على المدينة العديد من الدويلات والسلطنات المستقلة عن الدولة العباسية في بغداد ومدت نفوذها على اليمن وصولاً إلى مدن وادي حضرموت، ومنها مدينة تريم الذي استولت عليها إمارة آل راشد التي يعود تأسيسها في بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر

الميلادي الذي اتخذت منها مركزاً لها، إلى أن قامت دولة آل يماني التي أسسها مسعود بن يماني بالسيطرة عليها حتى امتد إليها نفوذ الدولة الكثيرية الأولى عام ٨١٤ هـ/ ١٤١١م. (الجعيدي، ٢٠١٤م، ص٣٧).

وفي هذه المرحلة تميزت ببناء بعض المساجد على نمط مسجد الرسول ﷺ المتكون من بيت الصلاة الذي ينقسم إلى قسمين مغلق ومفتوح (صحن) وحمامات، مثل مسجد الوعل بحي الخليف أول مسجد بني في تريم عام ٤٣هـ/٦٦٣م، وجامع تريم ٣٧٥هـ/٩٨٥م، ومصلي الجبانة عام ٦٦٦هـ/١٢٦٧م (العامري، ٢٠١٠م، ص٢٠٤).

إلى جانب بناء أول سور للمدينة في عهد السلطان عبد الله بن راشد القحطاني سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م) ويمتد من قارة العز إلى جبل جرمان، وقد تعرض هذا السور للهدم والتجديد عدة مرات في مراحلها المورفولوجية اللاحقة، كما تم بناء حصن النجير على بعد (٨) كلم شرقي تريم والذي شهد واقعة النجير الشهيرة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق التي انتصر فيها المسلمين على المرتدين من قبيلة كندة. (باني، ٢٠٢١م، ص٣٩).

٢ـ٢ـ١: شكل المدينة:

في هذه المرحلة تغير الشكل العام لنسيج المدينة، أي تميزت بالتوسع في مساكنها نحو شمال شرق مركز المدينة القديمة (قصر الرناد) في إطار سورها المحاط بالمدينة على شكل دائري، الذي وصل مساحة رقعتها المعمورة بنحو (46.2) هكتار.

٢ـ٢ـ٢: أنظمة الشوارع ونمطها:

أما أنظمة الشوارع في هذه المرحلة المورفولوجية فإنها أخذت النظام العضوي الضيق والمتشابك، حيث تتكون من أزقة ملتوية وغير مستوية في اتجاهاتها وعرضها الذي لا يتجاوز المترين أو أكثر.

٢ـ٢ـ٣: البناء المعماري (تصميم المبنى):

كما تشتهر بمخزونها الكبير من أنماط المباني الطينية، ونوع مواد بنائها المحلية كان من الطين واللبن المخلوط بالتبن (المدَّر) ثم تطلى بالنورة إلى جانب الحجارة فهي المصدر الوحيد والأساسي لأصل العمارة ونمطها المعماري التقليدي في المدينة.

خريطة رقم (٣) مدينة تريم في المرحلة المورفولوجية الثانية.

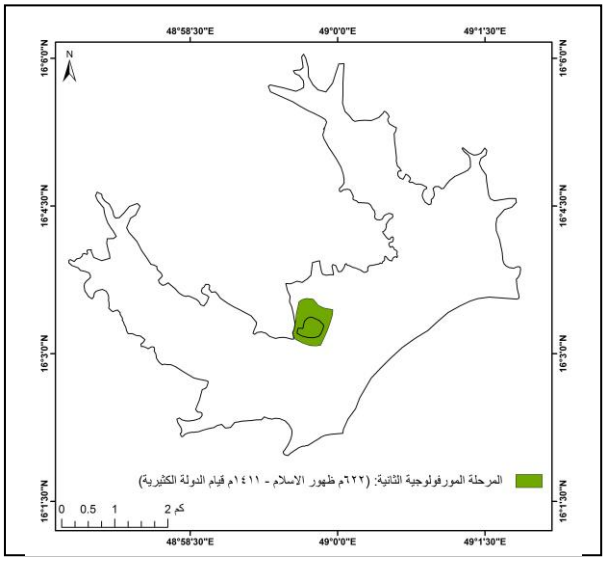

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على خريطة مشروع الأعمال الاستشارية لتطوير وادي حضرموت، المرحلة الثانية، التخطيط الإقليمي، ٢٠٠٥م.

٢ـ٣: المرحلة المورفولوجية الثالثة: (من عام ١٤١١م قيام الدولة الكثيرية الأولى ـ إلى عام ١٩٦٧م استقلال جنوب اليمن):

تمتد هذه المرحلة ضمن فترة حكم الدولة الكثيرية حتى انتهى حكمها بالقضاء عليها عند قيام ثورة الاستقلال في ٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٧م، كما أن هذه المرحلة مليئة بالأحداث حيث تنافست على المدينة الكثير من الدويلات والسلطنات والقبائل على حكم المدينة بدأ بقيام الدولة الكثيرية الأولى مروراً بسقوطها وما شهدته المدينة من صراعات قبلية وانقسامات استمرت إلى قيام الدولة الكثيرية الثانية عام ١٩٧٠م وحتى سقوطها على يد الجبهة القومية اثناء استقلال جمهورية اليمن الجنوبية.

ونتيجة للصراعات في هذه المرحلة فقد تميزت بحماية سورها القديم والحفاظ على تعزيز أمن المدينة كونه أهم وأبرز المظاهر العمرانية للمدينة فقد بنئ هذا السور عبد الله بن راشد في المرحلة السابقة وقد هُدم عدة مرات أثناء الحروب القبلية بين الكثيري واليافعي، فقد هدمه السلطان بدر بن محمد الكثيري وجدده سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م. (بن هاشم، ١٩٤٨م، ص٣٠).

ثم هدمه والي تريم عبد الله بن راصع سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م، ثم عاد بناه أحمد بن محمد بن راصع عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م وأحكمه وجعل له ثلاث أبواب عظيمة أحدها من جهة الجنوب بالقرب من بئر عاسل والثانية من جهة الشرق عند حارة آل باشريف والثالثة من جهة الشمال عند حارة القصارص، أما من جهة الغرب فيحيط بها عوائق جبلية. (العيدروس، ٢٠٠٤م، ص٧).

عند سقوط الدولة الكثيرية الأولى تجزأ الحكم والسلطة في مدينة تريم التي عمها نوع من الفوضى والخراب سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٥م، وقد سورت بسور ملاصق للديار في عهد غرامة اليافعي الذي اقتسم تريم فكان السوق من نصيبه وحارة الخليف لآل همام، وآل عبدالقادر في حارة النويدرة وكانت حدود هذا السور مابين دار الكهرباء سابقاً ودار الحبيب شيخ بن محمد بلفقيه قرب مسجد الفقيه (مسجد الحصاه)، ووضع بينهما سدة بحري المسجد الجامع، وشرقاً يمتد إلى مسجد عاشق ومسجد المحضار شمالاً إلى مسجد أبى بكر السكران (مكان المجف) وغرباً إلى مسجد باشميلة ويقال خلص، باشميلة قبيل جبل الفريط. (مصيباح، ٢٠١٢م، ص٢٥).

عند نهوض الدولة الكثيرية الثانية في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي جددت إعمار السور في عهد مؤسسها السلطان غالب بن محسن الكثيري ليشمل ما امتد اليه نفوذها من أراضي المدينة، وكانت بنايته سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٨م وبُنتْ له خمس بوابات وهي سدة بلخير في الغرب، وسدة يادين في الجنوب وسدة محبوب وسدة اللمي وسدة سرور في الجهة الشمالية الشرقية، كما أُنشأت مجموعة من الحصون وأكثر من خمسة عشر كوتاً لحماية المدينة. (القادري، ٢٠١١م، ص١٠). كما تطورت المدينة في أواخر هذه المرحلة تطوراً نسبياً في بعض المجالات كخدمات

التجـارة والتعلـيم والسـياحة، إلـى جانـب إدخـال الكهربـاء إلـى تـريم لأول مـره عـام ١٩٦٥م.(باني، ٢٠٢١م، ص٤٤).

٢ـ٣ـ١: شكل المدينة:

شـهدت مدينـة تريم خـلال هذه المرحلـة تغيراً فـي شكلها وأخذت الشكل الشبة الدائري، من حيث نمو الحراك السكاني والمكاني في كتلها العمرانية نحو الأطراف كما نشأت بعض الأحياء السكنية مثل حي الحاوي والنويدرة والسحيل والخليف والمحيضرة داخل حدود سورها، وبمساحة تقدر بنحو (252.1) هكتار، حيث تعد منطقة دمون وضواحيها وأجزاء كبيرة من عيديد خارج الرقعة العمرانية للمدينة في هذه المرحلة.

٢ـ٣ـ٢: أنظمة الشوارع ونمطها:

وقد توسعت الشوارع في هذه المرحلة المورفولوجية وكان ذلك التوسع على النمط العضوي السابق والمتمثل في الأزقة الملتوية والضيقة وغير المستوية، وتم تحسين عرضها حيث تلتقي مع شوارع المدينة الرئيسية والتي تتصل بمداخل المدينة ومقر حكمها وسوقها والتي تتجاوز اتساعها نحو (٣) أمتار وخاصةً بعد إدخال أول سيارة إلى المدينة مفككة على ظهور الجمال عام ١٩٢٠م.

٢ـ٣ـ٣: البناء المعماري (تصميم المبنى):

كما يتميز نمط بنائها المعماري عندما أُدخلت عليها بعض التعديلات والتحسينات على مواصفات المبنى حيث يكون الأساس من الحجر الصلب إلى جانب بعض المواد كالطين واللبن المخلوط بالتبن (المدَّر) والنورة والأخشاب لبناء الأسقف والأبواب والنوافذ وغيرها، وتُعدد طوابقها مابين ثلاثة وأربعة، ويتميز طراز بنائها بفن معماري جديد كالقصور[(****)] (Pamela, 2004, 2005,2007) وذلك نتيجة الهجرات إلى سنغافورة واندونيسيا والتي يمتزج ملامحها بين فنون العمارة الإسلامية والشرقية الآسيوية.

[(****)] أبرز القصور في هذه المرحلة الثالثة التي بنيت مابين عام (١٩٣٠م–١٩٣٢م) هي قصر عشَّة والقبَّة والمنيصورة.

شكل رقم (١) سور المدينة وبوابة تريم الجنوبية (سدة يادين)

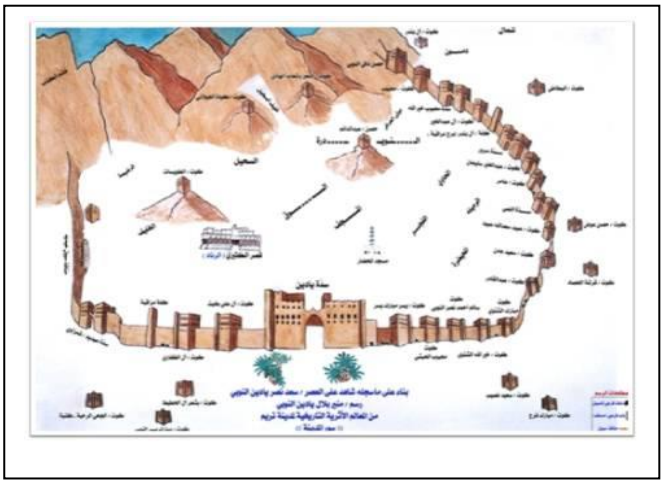

خريطة رقم (٤) مدينة تريم في المرحلة المورفولوجية الثالثة

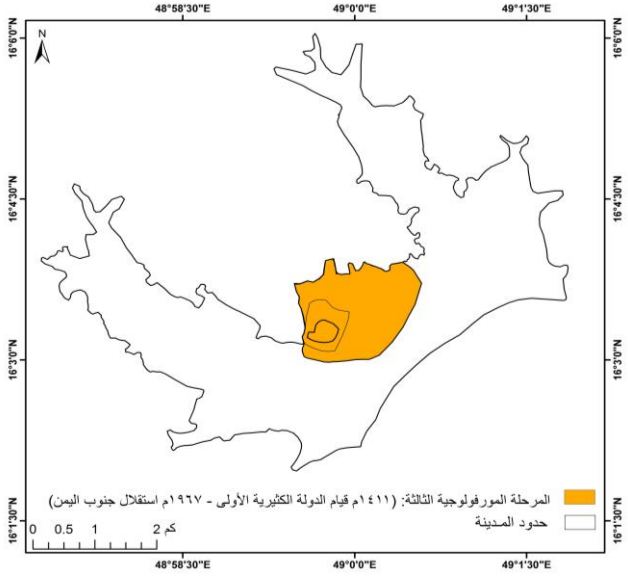

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على خريطة مشروع الأعمال الاستشارية لتطوير وادي حضرموت، المرحلة الثانية، التخطيط الإقليمي، ٢٠٠٥م.

٢ـ٤: المرحلة المورفولوجية الرابعة: (تمتد من عام ١٩٦٧م استقلال الجنوب – إلى عام ٢٠١٦م):

تبدأ مع تغير النظام السياسي في جنوب اليمن إلى نظام يساري شمولي وبالأخص منذُ صدور قرار الخطوة التصحيحية سنة ١٩٦٩م وقانون تأميم المساكن سنة ١٩٧٢م وبسبب الظروف السياسية التي خيمت على بداية هذه المرحلة وأثرت في النمو الاقتصادي وتسببت بهجرة رؤوس الأموال وهجرة أبناء تريم إلى دول الخليج مما أسهم في تقليص مشاريع الاستثمار في البناء وتوقف بناء القصور والدُور الكبيرة خوفاً من تعرضها للتأميم، وقد عانت المدينة من الانكماش الاقتصادي وظهور البناء الإسمنتي الذي تسبب في تشويه الطابع المعماري، وصاحب تلك المرحلة ظهور أحياء عشوائية منذُ مطلع ثمانينيات القرن العشرين في كل من أحياء عيديد ودمون وغيرها في أطراف المدينة. (القادري، ٢٠١١م، ص١٤).

وعند قيام الوحدة اليمنية سنة ١٩٩٠م وما بعدها استطاعت مدينة تريم أن تسترد نشاطها الديني والثقافي حيت يوجد حالياً في تريم ما يقارب (٣٠) مدرسة دينية ما بين رباط ودار علم ومركزاً دينياً وزاوية لتعلم الفقه والدين وتحفيظ القرآن، كما شهدت المدينة انتعاشاً اقتصادياً، ونمواً عمرانيا سريعاً وأُنشئت أحياء وحارات جديدة مثل حصن عوض والرحبة وحارات عيديد المستحدثة كعيديد القبلية (مولى عيديد) والروضة وحارة مابين الكود حتى وصل العمران إلى أحياء الفجير ودمون والمطار (قدرالله) فضلاً عن إنشاء العديد من المخططات السكنية (Algunaid,2005,p8) مابعد عام ٢٠٠٠م في وادي عيديد ودمون والتي ضُمت إلى حدود مدينة تريم، وتميز العمران في هذه الفترة بالابتعاد عن الطابع المعماري الأصيل للمدينة وتأثر بغزو مواد البناء الجديدة ولم يعد لمادة الطين حظوة لدى المشتغلين بالبناء أو أصحاب الدور الحديثة وبدأت مرحلة تهدد الخصوصية الثقافية للمدينة. (تريم عاصمة الثقافة الاسلامية، ٢٠١٠م).

٢-٤-١: تطور التركيب الداخلي للمدينة وأثره في تحديد شكل المدينة الحضري:

حدث تغير في التركيب الداخلي للمدينة عما كان عليه في المراحل المورفولوجية السابقة، أي طرأ على شكل المدينة تغير واضح من الشكل الشبه الدائري الذي كان يميزها إلى شكلِ أقرب إلى النجمة، وهو ناتج عن زيادة التوسع العمراني للمدينة؛ لإن اتجاهات النمو الحضري اتخذت أبعاداً مكانية جديدة تمثلت في نمو وتطور المدينة لاستعمالات الأرض الحضرية باتجاهات عدة منها تجاوز نحو مجرى الوادي الرئيسي المتمثل بالتوسع العمراني على حساب الأراضي الزراعية، أي اتخذت المدينة توسعاً عضوياً محايداً للجهة الجبلية من الوادي الواقعة في الشمال والشمال الشرقي والشمال الغربي، الذي يشمل من وادي عيديد حتى وادي دمون، ثم باتجاه منطقة ثبي وحصن العز بوادي الذهب، وأسفل الهضاب داخل وخارج الوديان وبشكل عمراني واضح يؤكد على تضخم عمران المدينة واتساعها دون السيطرة عليها وتنميتها حضرياً بالأساليب الحضرية المعاصرة للتخطيط العمراني (أحمد، ٢٠٠٥م، ص٥١). حيث وصل مساحة استعمالات الأراضي المطورة (المعمورة أو المبنية) حوالي (738.51) هكتار، أما مساحة الأراضي غير المطورة التي شملت مساحات بيضاء وأراضي غير مبنية في معظم أجزاء الاحياء السكنية والتي تقدر بنحو (1191.81) هكتار بنسبة (61.74%) من الإجمالي الكلي لمساحة الأراضي للمدينة البالغة (1930.32) هكتاراً عام ٢٠١٦م، انظر الخريطة رقم (٥) الآتية.

٢-٤-٢: أنظمة الشوارع ونمطها:

وقد أدَّى التوسع في هذه المرحلة المورفولوجية – بعكس المراحل الثلاث السابقة – إلى ظهور نمط الشوارع الطولية باتجاه الشرق والغرب نوعاً ما والمستقيمة التي تتقاطع في زوايا قائمة في بعض الاحياء للمدينة. كما تميزت المباني بارتفاعها وحداثة بنائها وخاصة على الشوارع الحديثة التي يصل عرضها ما بين (5 – ١٠) متر نتيجة لاجراء التخطيط الجديد الذي نمت على أساسه المدينة وهو من النوع الشبكي أو الشطرنجي المتعامد في تقاطع شوارعه.

٢ـ٤ـ٣: البناء المعماري وطراز الأبنية (تصميم المبنى):

إن المدينة تميزت بطابعها النمطي المعماري المميز وبروعة مساجدها ومبانيها البيضاء وقصورها الفاخرة، والتي تم بنائها بالمواد الحديثة والتي جمعت بين طراز الفن المعماري الحضرمي الأصيل والبناء الآسوي والملاوي، وتصل أغلب مبانيها ما بين (٣-٥) طوابق.

وقد تميز الوصف العمراني الحديث والذي يعتبر امتداد وتطوير للعمارة التقليدية ولكن بطراز ذو أنماط متطورة مع الحفاظ على التراث والفن المعماري القديم، الذي ساهم في إعطاء المدينة بنيتها الجديدة لإنشاء عمارة طينية حديثة تتناسب مع التغيرات التي طرأت على المدينة والملائمة مع بيئتها المحلية.

وعلى الرغم من التحويرات التي طرأت على النسيج العمراني لهذه المرحلة سواءً إعادة بناء أم تجديد أم إضافة أم تغيير الاستعمال الأصلي أم إدخال مواد بناء أخرى إلا إنها ظلت محافظة على طابعها العربي الإسلامي.

خريطة رقم (٥) مدينة تريم في المرحلة المورفولوجية الرابعة

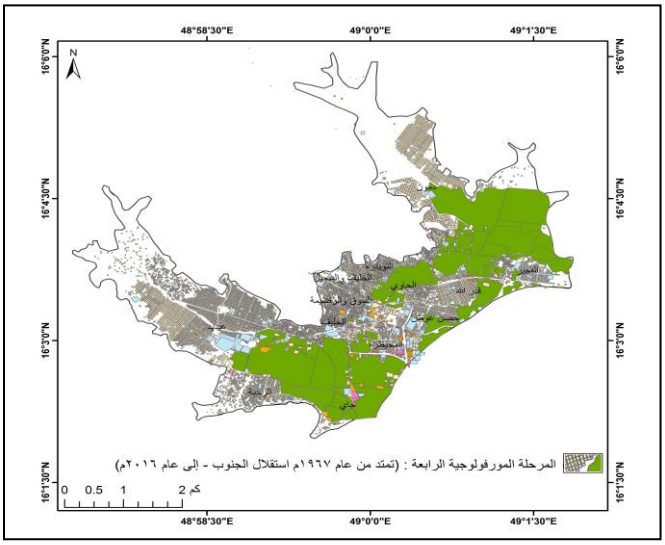

المصدر: المحمدي، عمر سالم، تطور استعمالات الأرض الحضرية في التركيب الداخلي لمدينة تريم: م/حضرموت – اليمن "باستخدام نظم المعلومات الجغرافية"، مجلة كلية الآداب بجامعة حضرموت، المجلد١، والعدد١، إبريل ٢٠٢١م.

٣ـ التوجهات المستقبلية لمدينة تريم:

قد حدث تطور كبير في مساحة مدينة تريم خلال المرحلة المورفولوجية الأخيرة، وإن التوسع يركز على عدة اتجاهات مكانية للنمو الحضري للمدينة مستقبلاً حتى عام ٢٠٢٥م تتمثل في اندماج المستوطنات أو المناطق المحيطة والقائمة في إطار البنية الداخلية للمدينة واستغلال مساحات الأراضي غير المطورة التي تقدر بنحو (١١٩١.٨١) هكتار، إلى جانب اتجاه النمو إلى أبعاد مكانية خارج حدودها لإنشاء قطاعات سكنية للسكان وتزويدها بكافة الخدمات للبنية التحتية في إطار المدينة أو في اتجاهات توسعها الحضري في مناطق متعددة تحيط بالمدينة في إطار نسيج حضري استيطاني جديد، حيث ركز التوسع الحضري على المساحة والسكان لتكون المرافق والخدمات الموزعة مكانياً عليها بصورة ملائمة وفقاً للحاجة والفرص المتاحة التي ستساعد بدورها على تخفيض الضغط على مركز المدينة.

وهناك مساحات أو أراضي فراغ بيضاء محيطة بالمدينة منها على ربوات أو هضاب للأودية المجاورة التي تقع في جانب أطراف مداخل المدينة صالحة لاتجاهات التوسع العمراني نحو المحاور الآتية: (محور الشمال الغربي بوادي عيديد، والشمال الشرقي والشمال بوادي دمون، والجنوب الغربي نحو مرتفعات هضبة حضرموت، والشمال الغربي نحو وادي ذهب) والتي تصلح لاستخدامات متعددة ضمن أحياء المدينة مستقبلاً.

الخاتمة:

أ- النتائج :

استهدفت الدراسة معرفة تطور المراحل المورفولوجية لمدينة تريم عبر مراحلها الأربع فضلاً عن التوجهات المستقبلية للمدينة حتى عام ٢٠٢٥م، مما مكَّن من الوصول إلى الحقائق الآتية:

١- إن مدينة تريم قديمة في وادي حضرموت، مما زاد من أهميتها كونها من مدن القوافل التجارية ويعود تاريخ نشأتها إلى القرن الرابع قبل الميلاد، ومرَّت بأربع مراحل تاريخية متنوعة تميزت بها المدينة.

٢- ساهمت العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية في تطور المراحل المورفولوجية العمرانية للمدينة، فالموضع وسط وادي حضرموت وعلى طرق التجارة القديمة ساهم بإهمية كبيرة في نموها.

٣- تطورت مدينة تريم تطوراً كبيراً خلال تاريخها الطويل منذ تشأتها ما قبل ظهور الإسلام وحتى الآن وذلك بتطورسكاني وعمراني حاولت الدراسة متابعته عبر أربعة مراحل مورفولوجية حددت على أساس بعض المعايير التي مارستها المدينة.

٤- شهدت المدينة في الفترة الأخيرة انتعاشاً اقتصادياً، ونمواً عمرانيا سريعاً لذلك أُنشئت أحياء وحارات جديدة مثل حصن عوض والرحبة وحارات عيديد المستحدثة كعيديد القبلية (مولى عيديد) والروضة ....الخ فضلاً عن إنشاء العديد من المخططات السكنية الحديثة في وادي عيديد ودمون وغيرها.

٥- إن أغلب اتجاهات التوسع العمراني للمدينة باتجاه الشمال الشرقي، والشمال الغربي والجنوب ..الخ لاتجاهات الامتداد العمراني، ويعود السبب في ذلك إلى عامل اتجاه امتداد طرق النقل الرئيسية.

٦- أخذت المدينة بالتطور والزحف العمراني على حساب مساحات الأراضي الزراعية نحو المحيط المجاور لمجرى وادي حضرموت الرئيسي.

ب ـ التوصيات :

١- الإسراع في تبليط شوارع المدينة وتوسعة الشوارع الضيقة لاستيعاب الزخم المروري وعدد السكان المتزايد لما لها من أهمية اقتصادية وحضارية ومورفولوجية وتعمل على تغيير المظهر العام للمدينة نحو الأفضل.

٢- الاهتمام بمدينة تريم من قبل السلطة المحلية بالمحافظة كونها المدينة التاريخية والسياحية والعلمية، وإعطائها دوراً إدارياً للتخفيف من المركزية الإدارية.

٣- إيجاد الحلول المناسبة لتوسع المدينة المستقبلي باتجاه الأودية والهضاب من خلال تجاوز العقبات التي تقف وراء ذلك، للمحافظة على الأراضي الزراعية المحيطة والمجاورة لمجرى وادي حضرموت الرئيسي.

٤- القيام بدراسات أخرى تشمل جوانب متعددة للمدينة يمكن الاستفادة منها في إنشاء نظام معلوماتي جغرافي متكامل عن المنطقة بالاعتماد على التقنيات الحديثة وتزويد أصحاب القرار بالمعلومات المطلوبة عن تنفيذ أي مشروع مستقبلي.

المصادر والمراجع :

١- الاشعب، خالص حسني، وصباح محمود، مورفولوجية المدينة، مطبعة جامعة بغداد، العراق ١٩٨٣م.

٢- أحمد، كامل عبد الناصر، وائل حسين يوسف، النمو العمراني للمدن بإقليم وادي حضرموت، مشروع الأعمال الاستثمارية وادي حضرموت، جامعة حضرموت، ٢٠٠٥م.

٣- باسنبل، سالم سعيد سالم، مدنية مدينة تريم، قسم الجغرافيا، كلية التربية المكلا، جامعة عدن، ١٩٩٠م.

٤- باغوث، خالد سعيد محمد، مساجد تريم من القرن الأول إلى القرن الثاني عشر الهجري تاريخها وعمارتها، مركز النور للدراسات والابحاث، تريم ٢٠١٠م.

٥- باني، عبدالله علي أحمد، التوسع الحضري بمدينة تريم "مظاهره – أسبابه – المترتبات الناتجة عنه"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب – جامعة حضرموت ٢٠٢١م.

٦- بن شهاب، أحمد بن عبدالله، تريم بين الماضي والحاضر، ط٢، شركة مطبعة السلام، ٢٠١٠م.

٧- بن هاشم، محمد، تاريخ الدولة الكثيرية، الجزء الأول، طبع على نفقة الخاصة السلطانية، ١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٨م.

٨- الجعيدي، عبدالله سعيد، السلطنة الكثيرية الأولى في حضرموت، الطبعة الأولى، تريم للدراسات والنشر، ٢٠١٤م.

٩- الجمهورية اليمنية، المكتب التنفيذي لمديرية تريم، الكتاب التعريفي، تريم عاصمة الثقافة الاسلامية، حضرموت ٢٠١٠م.

١٠- الجمهورية اليمنية، جامعة حضرموت، مشروع الاعمال الاستشارية لتطوير وادي حضرموت، التخطيط الاقليمي– المرحلة الثانية، مايو ٢٠٠٥م.

١١- الجنيد، محمد عبد الله، " تريم تاريخ وعمارة " مجلة عندل – فصلية ثقافية يصدرها مكتب وزارة الثقافة بالوادي والصحراء م/حضرموت، العدد ١ ، يناير وفبراير، ٢٠١٠م.

١٢- حسّان، أبوبكر بن محفوظ بن علي، السياحة الدينية في مدينة تريم، الطبعة الأولى، مكتبة تريم الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، حضرموت، ٢٠١٣م.

١٣- العامري، محمد صالح، المعالم السياحية لمدينة تريم، وزارة الثقافة – المكتب التنفيذي لتريم عاصمة الثقافة الإسلامية، ٢٠١٠م.

١٤- العيدروس، حسين ابوبكر، أسوار وتحصينات المدن في العصر الإسلامي في منطقة وادي حضرموت، دراسة أثرية وصفية تطبيقية على مدن (تريم – سيئون – شبام)، دراسة غير منشورة، ديسمبر ٢٠٠٤م.

١٥- العاني، آلاء أشرف عبد فرحان، مورفولوجية مدينة الفلوجة "دراسة في جغرافية المدن"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة الانبار، العراق، ٢٠٢٠م.
١٦- القادري، عبد الناصر عبدالله، التوصيف الشكلي لعمارة القصور في مدينة تريم بين الأصيل والهجين، مجلة المهندس اليمني المجلد ١١، كلية الهندسة جامعة عدن، ٢٠١١م
١٧- الكثيري، ناجي جعفر مرعي، تمدن مدينة تريم في الإسلام، مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية، المجلد ١٠، العدد ٢، ديسمبر، حضرموت، ٢٠١٣م.
١٨- المحمدي، عمر سالم، تطور أستعمالات الأرض الحضرية في التركيب الداخلي لمدينة تريم: م/ حضرموت – اليمن " باستخدام نظم المعلومات الجغرافية (GIS)، مجلة كلية الآداب بجامعة حضرموت، المجلد١، والعدد١، إبريل ٢٠٢١م.
١٩- المخزومي، رشا جبار محمد رضا، مورفولوجية مدينة النجف "دراسة في جغرافية المدن"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الكوفة، العراق، ٢٠٠٥م.
٢٠- مصيباح، محمد سالم، صبري هادي عفيف، العمارة الطينية عند المعماري عوض سليمان عفيف وإخوانه (مسجد المحضار)، دراسة معمارية تاريخية، مكتبة تريم الحديثة للطباعة والتوزيع والنشر، حضرموت، ٢٠١٢م.

المراجع الأجنبية:

1- Algunaid ,Abdulrahman Abdullah, "The change on Land Use In Tarim historic City and its Eeffect on Sustainable Tourism", Master's Programme in Urban Management and Development, Erasmus University, The Netherlands, 2005.
2- Damlugi, S. Samar, The Valley of Mud Brick Architecture Shibam, Tarim& Wadi Hadramut, GPL-Reading, UK, 1992, p230,323
3- Pamela , Jerome, Trimi mansions presser Vation Project: Documentation of the Tarimi Mansions 2006-07: Qasrabd AL-Rahman Bin Sheikh Alkaf, Samuel H. Kress Foundation, New York, 2007.
4- Pamela, Jerome, James Conlon, Selma Al-Radi,Tarim Mansions Preservation Project: Documentation of The Tarimi Mansions 2004-05, Hamtut and AL-Riyad, Submitted to the American Institute for Yemeni Studies Ardmore, PA, 9 May 2005.
5- Pamela, Jerome, updated feasibility study: preservation of the mudbrick mansions of Trim yemen, unesco, France, 2004.